التشكيل الصوتي في القرآن الكريم
سورة المسد أنموذجا (دراسة في الدلالة الصوتية)

Phonetic formation in the Holy Qu'ran:
Surat Al-Massad as a model (a study of phonetic significance)

امحمد لقدي[1]
المركز الجامعي تيبازة.
Lokdai.mhammed@cu-tipaza.dz

تاريخ الوصول 2024/02/15 القبول 2024/04/07 النشر على الخط 2024/06/15
Received 15/02/2024 Accepted 07/04/2024 Published online 15/06/2024

ملخص:

إنّ من خصائص الدرس الصوتي الحديث تمكُّنه من الكشف عن جوانب الإعجاز اللغوي عمومًا، والصوتي خصوصًا في القرآن الكريم والدراسات العلمية الأخرى. ويطلق مصطلح التشكيل الصوتي على كل دراسة تُعنى بالوظيفة الصوتية للفونيم، في علاقته بما يجاوره مع بقية الفونيمات أو الأصوات، وإلى كل العلاقات التي لا تنظر للصوت على أنه صوت مجرد، أو هو مجموعة مع غيره من الأصوات..

ويعتمد التحليل الصوتي على دراسة التلاؤم الصوتي للمفردات الصوتية مع غيرها؛ كما يدرس تكرار الصوت الواحد في النص وهيمنته عليه، ويكشف الأصوات التراكمية التي تنتظم على هيئة مجموعات صوتية؛ كأن تكون أصواتاً رخوة أو متوسطة أو أصوات علة... إلخ.

وهذه الدراسة جاءت لتكشف عن التشكيل الصوتي في (سورة المسد)، وذلك من خلال إبراز أهم الظواهر الصوتية المختلفة لهذه السورة، والتي تجسّدت من خلال دراستها فونيتيكيا وفونولوجيا. وقد خلصت إلى إبراز قيمة الحرف القرآني وفق الظواهر الصوتية المتنوعة: (الهمس، الجهر، الشدة،الرخاوة، النبر، التنغيم، الفواصل..)، وبيان دلالته الصوتية في النظام القرآني وسياقاته.

الكلمات المفتاحية: التشكيل الصوتي، سورة المسد، الدلالة الصوتية، الظواهر الصوتية.

Abstract:

This study came to reveal the phonetic formation in the Holy Qur'an, by highlighting the most important and various phonetic phenomena of Surat Al-Massad in particular, which were embodied through the study of this surah phonetically and phonologically. It was shown through the study that the Qur'anic pronunciation according to the phonetic phenomena: (whispering, loudness, intensity, softness, stress, intonation, intervals...) is characterized by various features; From the beauty of pronunciation, consistency in letters and structure, and depiction of meaning, as well as the accuracy of placing it in the appropriate context. Thus, it reflects the extent to which it was chosen with Allah's great care and wisdom.

***Keywords**: phonetic formation, Surat Al-Massad, phonetic significance, phonetic phenomena.*

[1] المؤلّف المراسل: **امحمد لقدي** البريد الإلكتروني:**lokdai.mhammed@cu-tipaza.dz**

1. مقدمة:

يعتبر علم الأصوات من العلوم اللّغوية، والأساس الأول الذي تبدأ به الدّراسات اللّسانية، فالصّوت اللّغوي هو أساس تأليف الكلمة فالجملة فالكلام.

ويتفرع هذا العلم إلى فرعين هما: علم الأصوات العام وعلم الأصوات الوظيفي، وكلّ منهما يدرس الصوت سواء من حيث مخرجه وصفاته، أو من حيث وظيفته التي يؤديها في سياق الكلمة والكلام.

وقد وقع الاختيار في هذه الدراسة على (سورة المسد)، حيث طبقت بعض موضوعات هذا العلم عليها، من خلال استخراج مكنوناتها ومعانيها، وفق ما اصطلح عليه بالتشكيل الصوتي؛ وذلك من خلال إبراز الإيقاع الداخلي والخارجي للأصوات المفردة، والمقاطع الصّوتية، والنّبر والتنغيم، والفواصل القرآنية..

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي الإحصائي؛ لأنه الأنسب لمثل هذه الدراسات، كونه يتطرق إلى تتبع الظاهرة الصوتية في تلك السورة، وتفكيكها، ومحاولة إحصاء جميع التشكلات الصوتية الواردة فيها.

وكان لمختلف الدراسات السابقة القريبة من بحثنا، وبعض المراجع التي تناولت الدرس الصوتي عموما، دور كبير في توجيه البحث نحو الدراسة الموضوعية الجادّة، التي يسعى من خلالها إلى إبراز أوجه الإعجاز القرآني في جانبه الفونولوجي بخاصة، حين يكشف عن الظواهر الصوتية ودلالتها داخل النص القرآني.

وإنّ الغاية من هذه الدراسة هي الإجابة على تساؤل رئيس وفق ما يعرف بالإشكالية الرئيسة للبحث، فكان كما يلي: فيمَ تجلّت ملامح التشكيل الصوتي في سورة المسد؟، وما الدلالات التي تركها في معنى السّورة؟.

2.التشكيل الصوتي: المفهوم والدلالة

يطلق مصطلح التشكيل الصوتي ويراد به: دراسة الوظيفة الصوتية للفونيم، في علاقته بما يجاوره من بقية الفونيمات أو الأصوات، وإلى كل العلاقات التي لا تنظر للصوت على أنه صوت مجرد، بل هو مجموعة مع غيره من أصوات[1].

ويتناول علم التشكيل الصوتي النظام الذي تتحقّق عليه صور الأصوات اللغوية عندما تتآلف في مجموعة كلامية، وهذا النظام يمثّل ارتباطات من نوع معين بين الأصوات المتُخارجة في الورود في الموقع الواحد إذا كانت تنتمي إلى صوت واحد، وغير المتخارجة إذا كانت تنتمي إلى صوتين أو أصوات مختلفة.

فدراسة الأصوات، بشكل عام، تخضع لقواعد معينة في تجاورها، وارتباطاتها، ومواقعها، وجميع علاقاتها؛ وكونها في هذا الحرف أو ذاك، أو وجودها في هذا المقطع أو ذاك، وكثرة ورودها وقلته، ثم دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات (الصحاح والعلل)، من حيث هي، بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة؛ كما في النبر والتنغيم؛ ودراسة الأصوات من هذه

[1] . ينظر: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. نادية رمضان النجار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. القاهرة 2004 : م. ص72

النواحي الأخيرة، دراسة لسلوكها في مواقعها أكثر مما هي دراسة للأصوات نفسها، وتلك هي الدراسة التي يصطلح عليها بالتشكيل الصوتي[1].

ويعد التحليل الصوتي واحدا من مستويات الكشف عن جماليات النص ودلالاته، والكشف عن المهارة في انتقاء المفردات لتكون منسجمة مع دلالة النص...

ويعتمد التحليل الصوتي على أسس معينة لابد من مراعاتها أهمها:

– دراسة التلاؤم الصوتي في المفردة الواحدة، نظرا لتقارب المخارج وغيره من الصفات، وملاءمة الصوت في المفردة لغيره من الأصوات في مفردات النص.

–دراسة تكرار الصوت الواحد في النص وهيمنته عليه.

– كشف الأصوات التراكمية في النص المراد بيانه وتحليله، ودراستها دراسة مشفوعة بالتحليل والتعليل؛ إذ تنتظم الأصوات التراكمية على هيئة مجموعات صوتية؛ كأن تكون أصواتاً رخوة أو متوسطة أو أصوات علة... إلخ، أو تنتظم على هيئة صوت أو أكثر يكثر دورانه في النص المراد تحليله كثرة ملفتة للانتباه، ظاهرة للعيان، أو تنتظم على هيئة مقاطع متشابهة يكثر دورانها في النص المراد تحليله.

– تحديد المقاطع الصوتية التي تشكل عددا ملحوظا لا يساوي في كثرته كثرة الأصوات التراكمية، وهو ما أطلق عليه الأصوات العددية، وبيان قيمة توافقها مع غيرها من أصوات النص مشفوعة بالتحليل ..[2]

3.التشكيل الصوتي في القرآن:

تتناغم حروف القرآن الكريم في تركيبه، وتتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات. فلقد اختار النسق القرآني لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية ودلالته السمعية؛ فالذي يستلذه السمع، وتستسيغه النفس، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقّق في العذوبة والرّقّة، والذي به يوجل القلب، وتنفر منه النفس وتعافه الأذن هو المتحقق في الزجر والشدة. وهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتب على نوعية الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تتركه من تأثير نفسي معين سلباً وإيجاباً [3] .

وإيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة الواحدة، عبارة عن جرس موسيقى للصوت فيما يجلبه من وقع في الأذن، أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورد القرآن الكريم في هذا السياق متجاوباً مع معطيات الدلالة الصوتية: " التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها"[4] .

4. علم الأصوات: مفهومه وأقسامه

[1] . ينظر: مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ص58/57

[2] . ينظر: التشكيل الصوتي في سورة " الأعلى "وإيحاءاته الدلالية، السيد عبد الحليم مصطفى عبد العال الشوربجي .جامعة الأزهر.

[3] . ينظر: الصوت اللُّغوي في القرآن. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، لبنان، الطبعة الأولى 1420 ه 2000 / م. ص:164 ،163

[4] . ينظر: دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية 1976 ، م. ص46.

يُعتبر علم الأصوات أحد الفروع اللّغوية والقاعدة الأساسية لبداية الدّراسات اللّسانية قبل علم الصّرف وعلم النّحو وعلم الدلالة وعلم المعاجم.

ويعّرّف على أنّهُ:" فرع من علم اللّغة يبحث في نُطق الأصوات اللّغوية وانتقالها وإدراكها، ويدعوه البعض بالصّوتيات أو بعلم الصّوتيات".[1] وهو قسمان:

1.4.علم الأصوات العام(الفونيتيكا):

إن التعريف السابق يشيرُ مجملاً إلى علم الأصوات العام أو ما يصطلح عليه بالفونيتيكا، لأنّه يدرسُ الصّوت المادي المجرّد من خلال ذكر مخارجه وتشريح الجهاز النّطقي وتحديد ملامح الأصوات المفردة خارج سياق الكلام، أي أنّه يدرس الصوت مستقلّا عن الكلمة.

ويتفرع علم الأصوات العام إلى ثلاثة فروع، نذكرها:

- علم الأصوات النّطقي: وهو أقدم فروع علم الأصوات العام، و" يقوم بتحديد مخارج الحروف وطرق إخراجها ودراسة الجهاز الصّوتي عند الإنسان والعضلات التي تتحكم في أعضاء النطق التي تقوم بإخراج أصوات اللّغة العربية".[2] فهذا العلم يُعنى بدراسة مخارج الأصوات وكيفية صدورها من الجهاز النّطقي من خلال تشريحه وبيان الأعضاء المسؤولة عن النّطق.
- علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي: وهذا العلم يختص بدراسة صفات الأصوات من خلال تحليل الذبذبات الصادرة من العضو النّاطق للصوت إلى خروجه في الهواء.
- علم الأصوات السّمعي: ويدرس هذا العلم الجهاز السّمعي وذلك من خلال تشريح الأذن وبيان الأجزاء المسؤولة عن إيصال الصوت من أذن السّامع إلى الدّماغ؛ فهو "يهتمّ بالفترة التي تقع منذ وصول الموجات الصوتية إلى الأذن حتى إدراكها في الدّماغ".[3]

2.4.علم الأصوات الوظيفي(الفونولوجيا):

وهو يُعنى بتحديد السّمات العامة التي تتكوّن منها هيئة الصّوت وهويّته في لغة ما ووظائفها المتعدّدة، لاستخلاص القوانين التي تخضع لها، والنتائج اللّغوية التي تترتب على كلٍّ منها.[4]

وموضوع الفونولوجيا هو الوحدة الصوتية الصغرى الوظيفية وتسمّى بالفونيم، وهو حسب دانييل جونز عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصّفات في لغة معيّنة، والتي تُستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السّياق الذي يقع فيه آخر من العائلة نفسها..

---

[1] . محمّد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط01، الرياض، 1406هـ/ 1986م، ص112.

[2] . منصور محمّد الغامدي، الصّوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط01، الرّياض، 1421هـ/2001م، ص14.

[3] . منصور محمّد الغامدي، الصّوتيات العربية، ص17.

[4] . سلمى بودلّال، علم الأصوات الوظيفي بين الموروث اللّغوي وعلم اللّغة الحديث دراسة تأصيلية بين ابن جنّي وتروبتسكوي، جامعة الصّديث بن يحيى، جيجل (الجزائر)، مجلة طلائع اللّغة وروائع الأدب، المجلّد02، العدد02، 2022م، ص52.

أي أنّه لا يمكن لفونيم أن يحلّ محلّ فونيم آخر حتى ولو كانا من نفس المخرج ومشتركيْن في نفس الصّفات؛ نحو: تاب وطاب، فإذا حلّت الطّاء محِلّ التاء فإنّه يؤدّي إلى تغيير في معنى الكلمة.

5.التشكيل الصوتي ودلالته في سورة المسد:

1.5.التعريف بسورة المسد:[1]

سورة المسد سورة مكّية، نزلت غي السّنة الرّابعة من البِعثة النّبوية، وعدد آياتها خمس.

سمّيت السورة بعدّة مُسمَّيات، منها: "سورة تبّت"، "سورة المسد"، "سورة أبي لهب"؛ واتفق العلماء على تسميتها بسورة المسد اتفاقا مع ما جاء في القرآن الكريم.

يقع ترتيبها في القرآن الكريم في المرتبة الحادية عشرة بعد المائة، أمّا ترتيب نزولها فقد عدّها العلماء في المرتبة السّادسة من حيث هذا الترتيب، فقد نزلت بعد سورة الفاتحة، وقبل سورة التكوير، وعلى هذا الاساس عدّها العلماء من أوائل السّور القرآنية.

2.5.ملامح الأصوات المفردة في سورة المسد وأثرها في المعنى:

وقد اخترنا من الأصوات المفردة على سبيل التمثيل: الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، والتوسط،...إلخ. فالجهر: وهو في معناه اللّغوي ارتفاع الصّوت وبروزه، كما جاء في تعريف ابن منظور في قوله:" يُقال جهر بالقول إذا رفع صوته، فهو جهير، وأجهر، فهو مُجهِر إذا عُرِف بشدّة الصّوت. وجهر بالشّيء: عَلَن وبدا، وجهر بكلامه ودعائه وصوته وصلاته وقراءته يجهر جهرا وجِهارا،...، وقال بعضهم الجهر أعلى الصوت".[2]

والصّوت المجهور هو صوت "أُشبع الاعتماد في موضعه، ومُنِع النّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصّوت".[3]

والأصوات المجهورة تسعة عشر حرفا، تُجمع في عبارة "ظلٌّ رَبَضَ إِذْ غَزَا جُنْدٌ مُطِيعٌ".

الهمس: في اللّغة:" الخفيُّ من الصّوت".[4]

أما اصطلاحا فهو:" جريان النّفس عند النّطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه".[5]

والأصوات المهموسة عشرة تجمع في عبارة "فحثّه سكت شخص".

الشدّة: يُعرّفها ابن منظور بقوله:" الصّلابة: وهي نقيض اللّين، وشيءٌ شديد: مُشتدٌّ قويّ".[6]

---

[1] . ينظر:أحمد حامد محمّد سعيد، فتح الله الصّمد في تفسير سورة المسد، حولية كلّية الدّراسات الإسلامية والعربية للبنات، المجلّد 03، العدد04، الإسكندرية، ص19-22.

[2] . ابن منظور، لسان العرب، مج03، دار صادر، بيروت، ص225. مادة (ج ه ر).

[3] . بهيّة زخنين، المنطلقات الصّوتية للمباني المورفولوجية في كتاب الكافي في التصريف لأمحمد بن يوسف أطفيش، درجة الماجستير في اللّغة، إشراف مكي درار، جامعة وهران، السّانية، 2010/2009م، ص58.

[4] . ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ج06، ص66. مادة (ه م س).

[5] . جمال بن إبراهيم القرش، دراسة المخارج والصّفات، مكتبة طالب العلم، ط01، جمهورية مصر العربي، 1433ه/2012م، ص127.

[6] . ابن منظور، لسان العرب، مج08، ص38. مادة (ش د د).

أمّا في الاصطلاح فهي:" انحباس جري الصّوت عند النّطق بالحرف لقوّة الاعتماد على المخرج، وتسمّى شديدة لاشتداد الحرف في مخرجه فلا يجري معه الصّوت".[1]

الرّخاوة: وهي:" جريان الصّوت عند النّطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه".[2]

التوسط: وهو:" اعتدال الصوت عند النّطق بالحرف، أي لا ينحبس فيها الصوت بالكُلّية، ولا يجري فيها الصّوت بالكُلّية".[3]

بلغ عدد الأصوات المجهورة في سورة المسد ستة عشر صوتا، وكان صوت الباء هو الغالب على السورة بين هذه الأصوات بحيث بلغ عدد تكراره 10 مرّات، ثم يأتي صوتا الميم والنّون بنفس المرتبة بحيث بلغ عدد تكرارهما 08 مرّات، ثمّ اللّام الذي بلغ عدد تكراره ست مرّات، وأخيرا الهمزة التي بلغ عدد تكرارها أربع مرّات.

ومن سمات الجهر القوة، ومن الأغراض التي أفادها في سورة المسد نذكر مثالا عن التوعّد والتوبيخ، وذلك من خلال قوله تعالى في بداية السّورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، الباء تكرّرت سبع مرّات، وهو صوت مجهور شديد وإيقاعه قوي في النّفس، وأفاد تكراره بيان المعنى وتوضيحه وجذب انتباه السّامع لمدلول هذه الآية؛ فارتبط هذا الحرف بالتوبيخ والوعيد والخسران والهلاك.

وقد فسّر أحد العلماء هذه الآية بأنّها إخبارٌ عن ما ناله أبا لهب جرّاء سخريته من النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأذيّته، ودليل ذلك قوله تعلى في الآية التي تليها:﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾. فقد أخبرت هذه الآية عن جزاؤه الدّنيوي الذي حلّ به في دنياه قبل مماته –لعنة الله– هو عدم إغناء ماله وكسبه عنه شيئا.

أمّا الأصوات المهموسة فهي سبعة، ولم تفيد أية دلالة بالمقارنة مع الأصوات المجهورة، لأنّ الهمس يفيد الشّعور بالرّاحة والوصف، فسورة المسد أنزلت خصّيصا لذمّ وتوبيخ أبي لهب وزوجته والتوعّد لهم وليس للترفق بهم.

3.5.الظواهر التطريزية:

المقطع الصّوتي:

يُعرّف المقطع الصّوتي بأنّه:" مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللّغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع النفسي... فكلّ ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرّئتين يمكن أن تنتج إيقاعا يُعبّرُ عنه بمقطع مُؤَلّف في أقلّ الأحوال من صامت وحركة".[4]

والمقطع الصّوتي خمسة أنواع هي:

أ. المقطع القصير: وهو مقطع يتألّف من صامت وصائت قصير، ويرمز له بالرّمز (ص ح).

ب. المقطع المتوسط المغلق: وهو مقطع يتألّف من صامتين يتوسّطهما صائت قصير، ويرمز له بالرّمز (ص ح ص).

ج. المقطع المتوسط المفتوح: وهو مقطع يتألّف من صامت وصائت طويل، ويرمز له بالرمز (ص ح ح).

د. المقطع الطّويل المغلق: وهو مقطع تألّف من صامتين يتوسطهما صائت طويل، ويرمز له بالرّمز (ص ح ح ص).

هـ. المقطع الطويل المزدوج الانغلاق: وهو مقطع يتألّف من صامت وصائت قصير وصامتين، ويمز له بالرّمز (ص ح ص ص).

---

[1] . جمال بن إبراهيم القرش، دراسة المخارج والصّفات، ص135.

[2] . المصدر نفسه، ص141.

[3] . المصدر نفسه، ص139

[4] . عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص38.

وهذا الجدول يبين تنوع المقاطع التي حوتها سورة المسد(اكتفينا بالآية الأولى أنموذجا):

المقطع	رمز المقطع	نوع المقطع
تَبْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
بَتْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
يَ	ص ح	مقطع قصير
دَا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
أَ	ص ح	مقطع قصير
بِي	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
لَ	ص ح	مقطع قصير
هَ	ص ح	مقطع قصير
بِنْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
وَ	ص ح	مقطع قصير
تَبْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
بَ	ص ح	مقطع قصير

بلغ عدد المقاطع الصّوتية في سورة المسد 56 مقطعا، وهي كالآتي:

- عدد المقاطع القصيرة في سورة المسد 28 مقطعا، أي بنسبة 50 بالمئة.

- عدد المقاطع المتوسطة المغلقة 17 مقطعا صوتيا، أي بنسبة 30.35 بالمئة.
- عدد المقاطع المتوسطة 12 مقطعا، أي بنسبة 19.65 بالمئة.

وعند تقطيع الآية الأولى، نجد أنّ المقاطع القصيرة أكثر من المقاطع المتوسطة المغلفة والمفتوحة، بحيث بلغ عدد المقاطع القصيرة فيها ستة مقاطع، وهذا جاء موافقا لحالة الغضب والاضطراب؛ غضب الله تعالى من أبي لهب والتوعّد له، واضطراب حياة أبي لهب وعدم استقرارها في دنياه وممات.

فالمقطع القصير يساهم في زيادة إثارة انتباه السّامع وزيادة حدّته بما يلائم سياق الحديث، وذلك لبساطة تكوينه، بالإضافة إلى حركته الإيقاعية البارزة، والمثيرة للانتباه.

ونفس الإيقاع جاءت الآية الثانية التي بعده والتي احوت على سبعة مقاطع قصيرة، فأبو لهب لم يستقر في حياته هو وامرأته وفي مماته، ولم يفده ماله ومكتسباته في نجاته وثباته واستقراره.

أمّا في الآية الثّالثة فنجد أنّ المقاطع المتوسطة ستة، وهي متساوية فيما بينها، أي أنّ المقاطع المتوسطة المغلقة ثلاثة والمفتوحة ثلاثة، وهذا التساوي خلق نوعا من التوازن والتساوي في العذاب بينه وبين الكفّار الآخرين، أما المقطع القصير فقد بلغ أربعة مقاطع، وهذا موافق لصيغة التوعّد لأبي لهب بالنّار وبئس المصير.

وبلغ عدد المقاطع القصيرة في الآية الرّابعة ثمان مقاطع، وهذا جاء موافق لسياق التوعد والسّخرية من أبي لها وامرأته بوصفها حمّالة للحطب.

أمّا في الآية الأخيرة فنجد تساوي المقاطع المتوسطة المفتوحة والمغلقة بحيث بلغن كل منها ثلاثة مقاطع أمّا المقاطع القصيرة فبلغ عددها أربعة.

النّبر:

النّبر عند علماء اللّغة المتقدّمين هو "الهمز وعلو الصّوت"، كما جاء في لسان العرب لابن منظور:" النّبر بالكلام: الهمز، وكلُّ شيء رفع شيئا، فقد نبره، والنّبر: مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزه".[1]

ويتضح من هذا التعريف بأنّ النّبر له علاقة وطيدة بالمقطع الصّوتي، فهو يساهم في توضيح أحد مقاطع الكلمة، وبذلك يساهم في توضيح الدلالة.

والنبر اصطلاحا: هو تلك العملية النّطقية التي مصدرها الحنجرة حين تتوتر عضلاتها توترا شديدا وهذه الظّاهرة التي يمكن أن يطلق عليا التهميز، أي إيثار الهمزة في كثير من الكلمات.

يقع النّبر علة جميع المقاطع الصوتية باستثناء المقطع القصير حين يكون منفصلا عن الكلمة نحو: (وَ)، (مَ)..

وقد حدّد إبراهيم أنيس مواضع النّبر في كتابه "الأصوات اللّغوية"، ويمكن اختصارها فيما يلي:[2]

أ. يكون في المقطع الأخير من الكلمة في حال إذا كان هذا المقطع من انوع الطويل المغلق أو المزدوج الانغلاق وذلك في حالة الوقف، نحو: نستعين (نَسْ/ تَ/ عِينْ) أي (ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص)، هنا يقع النّبر على المقطع الطويل المغلق الذي

[1] . ابن منظور، لسان العرب، مج06، دار صادر، ط01، ص4323. مادة (ن ب ر).

[2] . إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلومصرية، ط05، 1975م، ص171-172.

في آخر الكلمة (عين). أمّا في كلمة مستقرّ (مسْ/ تَ/ قَرْ) أي (ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص ص) فيقع النّبر على المقطع الطويل المزدوج الانغلاق الذي في آخر الكلمة (قرّ).

ب. يكون في المقطع قبل الأخير من الكلمة في حال إذا كان المقطع من النوع القصير وقبله مقطع متوسط مغلق أو مفتوح، نحو: استفهم، قاتل، يكتب فيقع النّبر على كل من (الهاء، والتاء في قاتل ويكتب).

ج. إذا كانت الكلمة مكونة من ثلاث مقاطع قصيرة فيقع النّبر على المقطع الأخير من الكلمة حين العدّ من اليسار إلى اليمين، نحو: كَتَبَ فالتاء تكون منبورة.

د. إذا كانت الكلمة مكونة من أربع مقاطع، الثلاثة الأولى تكون من النّوع القصير والمقطع الأخير من المقطع المتوسط فيقع النّبر على المقطع الثاني من الثالث من الكلمة حين العدّ من اليسار إلى اليمين، نحو: حلقةٌ (ح/ لَ/ قَ/ تُنْ) فالمقطع المنبور هو (اللام).

ومن أمثلة النّبر في سورة المسد، نذكر:

- لهبٍ: لَ/ هَ/ بن، (ص ح/ ص ح/ ص ح ص). يقع النبر في هذه الكلمة على المقطع الثّاني (الهاء).
- كسب: كَ/ سَ/ بَ، (ص ح/ ص ح/ ص ح). ويقع النّبر في هذه الكلمة على (الكاف).
- ماله: ما/ ل/ هـ، (ص ح ح/ ص ح/ ص ح). يقع النبر في هذه الكلمة على (اللّام).

التنغيم:

التنغيم في معناه اللّغوي مصد الجذر (نَغَمَ) والنّغمة "جرس الكلمة وحسن الصّوت في القراءة وغيرها، (...) وقد تنغّم بالغناء ونحوه. والنّغم الكلام الخفي...".[1]

وأما اصطلاحا فيعرّفه أحمد مختار عمر بقوله:" التنغيمات أو التنّوعات التنغيمية هي تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدّرجات الصّوتية على جملة واحدة أو أجزاء متناقضة وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة".[2]

فالتنغيم هو عبارة عن إيقاع ويتكوّن من نغمات تكون بدرجات مختلفة صاعدة وهابطة غالبا ومتوسطة في بعض الجمل، والتنغيم خاص بالجمل فقط بخلاف النّبر الذي يقع في مقاطع الكلمات فقط.

وقد وضع تمام حسّان ثلاث أنواع للنّغمات الصّوتية، وهي:[3]

1. النغمة الواسعة: وهي تكون نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصّوتية بواسطة الهواء المندفع من الرّئتين، فيسبّب ذلك اهتزاز أكثر في الأوتار الصّوتية، ومن ثمّ يعلو الصّوت.
2. النّغمة المتوسّطة: تستعمل للمحادثات العادية، وهي أقلّ تطلُّبا للهواء، وما يصحبها من علو الصّوت.
3. النغمة الضيّقة: وتستعمل في العبارات البائسة الحزينة، وفي الكلام بين شخصين يحاولان ألّا يسمعهما ثالث على بعد قليل منهما.

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب، مج10، ص4491. مادة (ن غ م).

[22] . أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1991م، ص229.

[3] . تمّام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط05، 1427هـ/2006م، ص229.

فالنّغمة الواسعة توافقها النّغمة الصّاعدة، وهي تستخدم عند الغضب والصياح والاستفهام.

وأمّا النّغمة المستوية فهي عبارة عن نغمة هادئة الوتيرة الصّوتية وتكون أثناء الإخبار.

وأمّا النغمة الهابطة فهي تستخدم أثناء الهمس أو الشّجن أو في حال السّخرية من شخص ما.

ومن أمثلة التنغيم في سورة المسد، نذكر:

في الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، فيها نغمة صاعدة لأنها جاءت موافقة لصيغة الوعيد والتوبيخ.

ثم تستوي النغمة في الآية الثاني في قوله تعالى:﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾، لموافقتها صيغة الخبر في الجملة الخبرية.

ثم ترتفع النّغمة في الآية التي بعدها، في قوله تعالى:﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾، فجاءة موافقة لنبرة التوعد بما سيلقاه أبو لهب من مصير سيئ ونار الجحيم.

الفواصل القرآنية:

تُعرّف الفاصلة على أنّها:" آخر كلمة في الآية وهي حروف متشاكلة في المقاطع".[1]

وقال الرافعيّ:" وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلّا صورا تامّة الأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصّوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصّوت والوجه التي تساق إليها".[2]

نستنتج من هذين التعريفين أنّ الفاصلة القرآنية تكون في آخر الكلمة عند الوقف بها، ويترتب على إثرها أثر صوتي وإيقاع مناسب لدلالة الآيات.

وعند النّظر إلى سورة المسد نجد أنّ آياتها الأربعة الأولى تنتهي بالفاصلة "الباء"، أمّا في الأخيرة تنتهي بالفاصلة "الدّال". والحرفان (د،ب) من حروف القلقلة (قطب جد)، وتدلّ هذه الحروف على القلق والاضطراب وعدم الثّبات وذلك واضح في حالة أبي لهب وامرأته عندما كانا يحاربان الرسول صلّى الله عليه وسلّم ودينه والمؤمنين وما يكنّاه له من كره وحقد شديد.

وكما لازمهما هذا الاضطراب في الدنيا فإنّه سيرافقهما في الآخرة عند الممات، وذلك واضح حين توعّد الله لهما بالنّار والعذاب الأليم.

6.خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات العامة في القرآن الكريم، والخاصة في سورة المسد، ومنها:

1. يشمل علم الأصوات علمين: أوّلهما يدرس الصّوت اللّغوي من حيث كونه مادّة ويعرف بعلم الأصوات العام أو الفونتيك، والثّاني يهتم بدراسة الصّوت اللّغوي من حيث وظيفته التي يؤدّيها في سياق الكلام ويعرف بعلم الأصوات الوظيفي أو الفونولوجيا.
2. ساهمت الأصوات المجهورة والمهموسة والشديدة في توضيح دلالة الآيات في سورة المسد، وذلك من خلال بيان إيقاعها الداخلي ومعناه باعتباره عنصر لغوي يساهم في بناء الكلمة وتأليف الكلام.

[1] . مروان محمّد سعيد عبد الرّحمان، دراسة أسلوبية لسورة الكهف، ، رسالة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م، ص48.

[2] . مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، تح: عبد الله المنشاوي، مكنبة الإيمان، القاهرة، ص184.

3. بلغ عدد الأصوات المجهورة في سورة المسد ستة عشر صوتا، وكان صوت الباء هو الغالب على السورة بين هذه الأصوات، بحيث بلغ عدد تكراره 10 مرّات، ثم يأتي صوتا الميم والنّون بنفس المرتبة بحيث بلغ عدد تكرارهما 08 مرّات، ثمّ اللّام الذي بلغ عدد تكراره ست مرّات، وأخيرا الهمزة التي بلغ عدد تكرارها أربع مرّات.

4. من الأغراض التي أفادها الجهر في سورة المسد: الوعيد والتوبيخ، وذلك من خلال قوله تعالى في بداية السّورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، حيث تكرّر الباء سبع مرّات، وهو صوت مجهور شديد وإيقاعه قوي في النّفس، وأفاد تكراره بيان المعنى وتوضيحه وجذب انتباه السّامع لمدلول هذه الآية؛ فارتبط هذا الحرف بالتوبيخ والوعيد والخسران والهلاك،

5. عدد الأصوات المهموسة في السورة سبعة، ولم تفد أية دلالة بالمقارنة مع الأصوات المجهورة، لأنّ الهمس يفيد الشّعور بالرّاحة والوصف، فسورة المسد أنزلت خصّيصا لذمّ وتوبيخ أبي لهب وزوجته والتوعّد لهم وليس للترفق بهم.

6. بلغ عدد المقاطع الصّوتية في سورة المسد 56 مقطعا: فعدد المقاطع القصيرة كان 28 مقطعا، أي بنسبة 50 بالمئة. وأما الباقي فتنوع بين المقاطع المتوسطة المغلقة والمفتوحة.

7. كانت المقاطع القصيرة في الآية الأولى أكثر من المقاطع المتوسطة المغلفة والمفتوحة، بحيث بلغ عددها ستة مقاطع؛ وهذا جاء موافقا لحالة الغضب والاضطراب؛ غضب الله تعالى من أبي لهب والتوعّد له، واضطراب حياة أبي لهب وعدم استقرارها في دنياه وبعد مماته.

8. أمّا في الآية الثّالثة فنجد أنّ المقاطع المتوسطة ستة وهي متساوية فيما بينها، أي أنّ المقاطع المتوسطة المغلقة ثلاثة والمفتوحة ثلاثة، وهذا التساوي خلق نوعا من التوافق والتساوي في العذاب بينه وبين الكفّار الآخرين..

9. للنّبر والتنغيم وظيفة أساسية تساهم في بيان الإيقاع الداخلي للكلمات والجمل وذلك من خلال تحديد أنواعها ومواطن النّبر والنّغم فيها.

10. تنوع التنغيم في سورة المسد، بين النغمة الصاعدة والمستوية والنازلة؛ ففي الآية الأولى–مثلا– في قوله تعالى:﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، نغمة صاعدة لأنها جاءت موافقة لصيغة الوعيد والتوبيخ. ثم تستوي النغمة في الآية الثاني في قوله تعالى:﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾، لموافقتها صيغة الخبر في الجملة الخبرية. وهكذا..

11. تعدّ الفاصلة القرآنية خاصّية من الخصائص القرآنية، وبها يقف الكلام وتنتهي الآيات، وتساهم في تحديد المعنى الشامل للسورة.

12. انتهت الآيات الأربع الأولى من سورة المسد بالفاصلة "الباء"، أمّا الأخيرة فانتهت بالفاصلة "الدّال". والحرفان (د،ب) من حروف القلقلة (قطب جد)، وتدلّ هذه الحروف على القلق والاضطراب وعدم الثّبات؛ وذلك واضح في حالة أبي لهب وامرأته عندما كانا يحاربان الرسول صلّى الله عليه وسلّم ودينه والمؤمنين، وما يكنّاه له من كره وحقد دفين.

7.قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط05، 1975م.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م..

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – 1414 هـ
أبو الأصبع الإشبيلي، مخارج الحروف وصفاتها، تح: محمّد يعقوب تركستاني، ط01، 1404هـ/1984م.
أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1991م.
تمّام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط05، 1427هـ/2006م.
جمال بن إبراهيم القرش، دراسة المخارج والصّفات، مكتبة طالب العلم، ط01، جمهورية مصر العربي، 1433هـ/2012م.
السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، دار التراث، ط03، القاهرة.
عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1980م.
كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطّباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
محمّد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط01، الرياض، 1406هـ/ 1986م.
مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، تح: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، القاهرة.
منصور محمّد الغامدي، الصّوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط01، الرّياض، 1421هـ/2001م .
بهيّة زخنين، المنطلقات الصّوتية للمباني المورفولوجية في كتاب الكافي في التصريف لأمحمد بن يوسف أطفيش، درجة الماجستير في اللّغة، إشراف مكي درار، جامعة وهران، السّانية، 2010/2009م.
مروان محمّد سعيد عبد الرّحمان، دراسة أسلوبية لسورة الكهف، رسالة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م.
أحمد حامد محمّد سعيد، فتح الله الصّمد في تفسير سورة المسد، حولية كلّية الدّراسات الإسلامية والعربية للبنات، المجلّد 03، العدد04، الإسكندرية.
سلمى بودلّال، علم الأصوات الوظيفي بين الموروث اللّغوي وعلم اللّغة الحديث دراسة تأصيلية بين ابن جنّي وتروبتسكوي، جامعة الصّديق بن يحي، جيجل (الجزائر)، مجلة طلائع اللّغة وروائع الأدب، المجلّد02، العدد02، 2022م.
السيد عبد الحليم مصطفى عبد العال الشوربجي، التشكيل الصوتي في سورة " الأعلى "وإيحاءاته الدلالية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات، العدد46، 2012.

References:

-Qur’ān al-Karīm bi-riwāyat Ḥafṣ ‘an ‘Āṣim
(1Ibrāhīm Anīs, al-aṣwāt alllghwyh, Maktabat al-Anjlū Miṣrīyah, ṭ05, 1975m.
(2Ibn Fāris, Mu‘jam Maqāyīs al-lughah, tḥ : ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, 1979m..
(3Ibn manẓūr, Lisān al-‘Arab, Dār Ṣādir-Bayrūt al-Ṭab‘ah : al-thālithah-1414 H

(4Abū al’ṣb‘ al-Ishbīlī, Makhārij al-ḥurūf wṣfāthā, tḥ : Muḥammad Ya‘qūb Turkistānī, ṭ01, 1404h / 1984m.
5) Aḥmad Mukhtār ‘Umar, dirāsah alṣṣwt alllghwy, ‘Ālam al-Kutub, al-Qāhirah, 1991m.
6) tmmām Ḥassān, alllghh al-‘Arabīyah ma‘nāhā wmbnāhā, ‘Ālam al-Kutub, ṭ05, 1427h / 2006m.
7) Jamāl ibn Ibrāhīm al-Qirsh, dirāsah al-Makhārij wālṣṣfāt, Maktabat Ṭālib al-‘Ilm, ṭ01, Jumhūrīyat Miṣr al-‘Arabī, 1433h / 2012
8) alssywty, al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān, tḥ : Muḥammad Abū al-Faḍl, Dār al-Turāth, ṭ03, al-Qāhirah.

9) ‘Abd alṣṣbwr Shāhīn, al-manhaj alṣṣwty lil-binyah al-‘Arabīyah, ru’yah jadīdah fī alṣṣrf al-‘Arabī, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt, 1980m
10) Kamāl Bishr, ‘ilm al-aṣwāt, Dār Gharīb llṭṭbā‘h wālnnshr wa-al-Tawzī‘, al-Qāhirah, 2000M
11) Muḥammad ‘Alī al-Khūlī, Mu‘jam ‘ilm al-aṣwāt, Maṭābi‘ al-Farazdaq al-Tijārīyah, ṭ01, al-Riyāḍ, 1406h / 1986m
12) Muṣṭafá Ṣādiq alrrāf‘y, I‘jāz al-Qur’ān wa-al-balāghah alnnbwyh, tḥ : ‘Abd Allāh al-Munshāwī, Maktabat al-īmān, al-Qāhirah
13) Manṣūr Muḥammad al-Ghāmidī, alṣṣwtyāt al-‘Arabīyah, Maktabat al-Tawbah, ṭ01, alrryāḍ, 1421h / 2001M
14) bhyyh zkhnyn, al-munṭalaqāt alṣṣwtyh lil-mabānī almwrfwlwjyh fī Kitāb al-Kāfī fī al-taṣrīf li-Amḥammad ibn Yūsuf Aṭṭafayyish, Darajat al-mājistīr fī alllghh, ishrāf Makkī Dirār, Jāmi‘at Wahrān, alssānyh, 2009/2010m
15) Marwān Muḥammad Sa‘īd ‘Abd alrrḥmān, dirāsah uslūbīyah li-Sūrat al-Kahf,, Risālat al-mājistīr fī alllghh al-‘Arabīyah wa-ādābihā, Jāmi‘at alnnjāḥ al-Waṭanīyah, Nābulus, Filasṭīn, 2006m
16) Aḥmad Ḥāmid Muḥammad Sa‘īd, Fatḥ Allāh alṣṣmd fī tafsīr Sūrat almsd, Ḥawlīyat kllyh alddrāsāt al-Islāmīyah wa-al-‘Arabīyah lil-Banāt, almjlld 03, al‘dd04, al-Iskandarīyah
17) Salmá bwdllāl, ‘ilm al-aṣwāt al-waẓīfī bayna al-mawrūth alllghwy wa-‘ilm alllghh al-ḥadīth dirāsah ta’ṣīlīyah bayna Ibn jnny wtrwbtskwy, Jāmi‘at alṣṣdyq ibn Yaḥyá, Jījil (al-Jazā’ir), Majallat Ṭalā’i‘ alllghh wa-rawā’i‘ al-adab, almjlld02, al‘dd02, 2022m
18) al-Sayyid ‘Abd al-Ḥalīm Muṣṭafá ‘Abd al-‘Āl al-Shūrbajī, al-tashkīl al-ṣawtī fī Sūrat "al-A‘lá" w’yḥā’āth al-dalālīyah, Majallat Markaz al-khidmah lil-Istishārāt al-baḥthīyah wa-al-lughāt, al‘dd46, 2012m